دور سيرة النبي
في إيجاد الأُمة الاسلامية الواحدة

الاستاذ أبو الكلام آزاد*

عرض موجز لسيرة رسول الله ﷺ تدلّ بما لا يقبل الشك أن همَّ الرسول الاول - بعدإعلان كلمة التوحيد - رصُّ صفوف الامّة، واتخاذ الموقف التوحيدي من الاختلاف الطبيعي بين الصحابة، والتركيز على جمع القلوب وتوطيد روح الاخوّة بين المسلمين.

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا اللّه الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[1].

إن الانسان أشرف خلق الله، وهو عبد وخليفة للّه؛ فالناس كلّهم سواسية في وظيفة العبودية والخلافة. ومن ثم يعتبرون كوحدة واحدة، ومن جانب آخر هم متحدون في أصل الخلق وهوالتراب، حيث قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾[2]، وجاء في الحديث النبوي: «لا فضل لأحد على أحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب».

---

*- باحث من بنغلادش.

١- النساء / ١.

٢- الروم / ٢٠.

ومن هنا اعتبر الاسلام الناسَ بغض النظر عن ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم أُمة واحدة، قال سبحانه وتعالى: ﴿كان الناس أُمة واحدة...﴾[١]، ﴿وما كان الناس إلا أُمة واحدة فاختلفوا...﴾[٢].

ولم يعتبر الناس كأُمة واحدة أيّ دين سوى الاسلام فقد نظر الاسلام الى بني آدم من حيث إنّ خالقهم هو اللّه، وأصل خلقهم واحد وهو آدم وآدم من تراب.

والهدف من خلق البشر واحد وهو أن يعبدوا خالقهم ومليكهم وربهم ، وأن لا يشركوا به أحداً من خلقه؛ ومنزلة الانسان هي أنه خليفة اللّه في الأرض.

وبناء على أن الناس أُمة واحدة من حيث المبدأ والهدف والمكانة، ولحفاظ وحدة الأُمة خلال أداء وظيفة العبودية ومسؤولية الخلافة، وإرشاد الناس الى الطريق السويّ، وإزالة الخلافات والنزاعات فيما بينهم، وتعزيز صلتهم بخالقهم وربهم فقد أُرسلت الرسل وبعثت الأنبياء وأُنزلت الكتب والصحف في مختلف العصور والأزمان.

الوضع الاجتماعي الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وآله

إن الحقبة الزمنية التي ولد ونشأ فيها نبيّنا وحبيبنا محمّد بن عبد اللّه صلى الله عليه وآله تسمى بالعصر الجاهلي نسبة الى الجهل؛ لا الجهل ضد العلم؛ فقد عاش في ذلك العصر خطباء مصاقع وشعراء فحول، ونشطت فيه حركة أدبية ملحوظة، تعد المعلقات السبع من أبرز سماتها، بل الجهل الذي يعني فقدان القيم الانسانية من نفوس الناس الذي عاشوا فيه؛ فقد كان العرب يعيشون قبائل متنابذة لا يعرفون فكرة الأُمة الواحدة وإنّما يعرفون فكرة القبيلة، وكلّ قبيلة تتعصب لأفرادها تعصباً شديداً، فإذا جنى أحدهم جناية شركته في مسؤوليتها وإذا قتل أحد أبنائها هبّت للأخذ بثأره هبة واحدة. وكانت تنشب الحرب بينهم لأتفه الاسباب وتستمر الى أعوام وسنين وتؤدي الى خسائر هائلة في الأموال والأنفس.

في هذا الوضع الذي كان يسوده التفرّق والتشتت ولد ونشأ وترعرع إمام

١- البقرة / ٢١٣.

٢- يونس / ١٩.

المرسلين نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

بعثة الرسول صلى الله عليه وآله

شاءت إرادة اللّه سبحانه وتعالى أن يختار أفضل البشر من أوسط نسب من أشرف قبيلة ومن أُم القرى للرسالة الخاتمة الخالدة ﴿... اللّه أعلم حيث يجعل رسالته...﴾[1]، وبدأ الوحي ينزل عليه وهو ابن أربعين في أفضل الشهور وهو رمضان المبارك،وفي ليلة خير من ألف شهر وهي ليلة القدر.

عندما أُمر النبي صلى الله عليه وآله بالصدع بالدعوة أمام مواطني مكّة المكرمة، طلع الصفا ونادى قومه داعياً الناس جميعاً بقوله: «قولوا لا إله إلا اللّه تفلحوا» وهذه الصيغة تدلّ على عالمية رسالته واهتمامه البالغ بالقضاء على التمزّق والتشتت الذي يسود مجتمعه وبلاده، وصراحة إعلانه لتوحيد الناس المتشتتين في صف واحد وتحويلهم الى أُمة واحدة تجمعها كلمة التوحيد «لا إله إلا اللّه».

ولكونه صلى الله عليه وآله لم يبعث الى قوم ما بل الى الناس كافة الذين كانوا أُمة واحدة، ثم تفرّقت وتشتتت عندما تنازعت واختلفت وتباعدت من كلمة التوحيد، لذلك أمر اللّه سبحانه رسوله أن يقول: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول اللّه اليكم جميعاً...﴾[2] فقد كان يخاطب في دعوته جنس الانسان ولم يكن يخاطب قومه كإخوته السابقين من الأنبياء والرسل، فأول خطاب وأول أمر في المصحف الذي بين أيدينا هو: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[3].

كان النبي صلى الله عليه وآله تفسيراً واقعياً للقرآن الكريم، ولم تكن سيرته إلا مثالاً حيّاً للقرآن الكريم، وأشارت الى ذلك أم المؤمنين عائشة رضيّ اللّه عنها بقولها «كان خلقه القرآن».

إذا نظرنا الى دعوته في الفترة التي قضاها في مكّة المكرّمة بعد البعثة وجدنا أنه

١- الأنعام / ١٢٤.

٢- الأعراف / ١٥٨.

٣- البقرة / ٢١.

بذل قصارى جهوده في إزالة التشتت القبلي والقضاء على التمييز العنصري، ولتكوين أُمة واحدة على أساس القيم الانسانية بناء على عقيدة التوحيد؛ فقد سعى لرفع مكانة الانسان بصفته إنساناً بغض النظر عن النسب واللون والجنس، وحاول أن يثبت أن انقسام الناس الى شعوب وقبائل لا يدلّ على أن بعضهم أفضل من بعض، بل الناس سواسية من حيث الأصل: ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجلعناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[١]. فوجدنا أنّه انضم اليه سادة قريش من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة، وعبيدها من بلال الحبشي وصهيب الرومي وأمثالهما، رضي الله عنهم جميعا. كانوا يجتمعون في مجلس واحد وكانوا يقفون في صف واحد في الصلاة خلف رسولهم وإمامهم محمد بن عبد الله ﷺ ناسين التمييز العنصري، وكانت قلوبهم مملوءة بشعور الأُخوة والمودّة، حيث إنّهم كانوا نموذجاً حيّاً لقوله تعالى ﴿إنما المؤمنون اخوة...﴾[٢].

قضى الرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة وذاق مختلف ألوان الظلم والاضطهاد هو وأصحابه، في هذه الفترة عندما اشتد الأذى والتعذيب وتآمر أهل مكة على قتله ﷺ أُمر بالهجرة الى المدينة المنوّرة، فهاجر هو وأصحابه اليها، هاجر المسلمون رجالاً ونساءً تاركين بلادهم الحبيبة وديارهم العزيزة وكلّ ممتلكاتهم مفضلين العقيدة - التي هي أعظم وأقدس نعم الله وأجلها على عبده - على الدنياومافيها. لم يحدث منهم أي خلاف ونزاع في ترك الديار والأقارب ولم يترددوا في الخضوع لحكم الله والامتثال لأمر الرسول ﷺ، وهم يعلمون أنّهم يتركون بلادهم العزيزة التي ولدوا ونشأوا فيها وأموالهم وأقاربهم وذكريات حياتهم، لو حدث الخلاف في صف المسلمين ونشأ التردد في قلوبهم في هذا الوقت الصعب الحرج لاضمحل البنيان المرصوص لوحدة الأُمة الاسلامية الصغيرة التي أوجدها الرسول ﷺ في ثلاثة عشر عاماً.

١- الحجرات / ١٣.

٢- الحجرات / ١٠.

هجرة الرسول ﷺ وسعيه لإرساء وحدة الأُمة

بعد أن قدم الرسول ﷺ المدينة اهتم بثلاثة أُمور لتعزيز وحدة الأُمة الاسلامية، هي:

أولاً: بناء المسجد، وثانياً: المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، وثالثاً: المعاهدة مع اليهود.

أولاً: بناء المسجد: وصل الرسول ﷺ المدينة يوم الاثنين وأقام بقباء ومكث بها حتى يوم الخميس، وخرج منها يوم الجمعة فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف ما بين قباء والمكان الذي يقع فيه المسجد النبوي الشريف، فكانت أوّل جمعة صلّاها بالمدينة. بعد أن فرغ من الصلاة توجّه النبي ﷺ الى قلب المدينة حتى إذا أتى دار بني مالك بن النجار بركت ناقته على باب مسجده، وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار هما سهل وسهيل، اشترى الرسول ﷺ هذا المربد وأمر ببناء المسجد فيه ونزل عند أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار وارتجز المسلمون وهم يبنون المسجد يقولون: لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة. فيقول الرسول ﷺ : لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار.

فالرسول ﷺ أول ما قام به في المدينة هو بناء المسجد، وهو شعار لتقوية صلة المسلمين بربهم وتعزيز الروابط فيما بين المسلمين، حيث يأتونه لأداء الصلوات ويلتفون فيه حول إمامهم ورسولهم ﷺ، ليسمعوا منه عن دينهم وواجباتهم ويأخذوا توجيهاته حول مسؤولياتهم، فكان المسجد مركز اجتماعاتهم ونادي أنشطتهم المتنوعة. وهكذا لعب المسجد دوراً طليعياً لايجاد الأُمة الاسلامية الواحدة التي عقيدتها واحدة، وربها واحد وقبلتها واحدة ونبيّها واحد وكتابها واحد وشعورها واحد وهدفها واحد.

ثانياً: المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين: بعد بناء المسجد كرمز للرابطة بين العباد وربهم، قام النبي ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين الذين تركوا ديارهم

وأقاربهم لأجل دينهم والأنصار الذين آووا هؤلاء الأجانب الذين نزلوا عليهم ونصروهم ، وقدموا لهم كلّ ما أمكن لهم لكونهم إخوتهم في الدين، وكتب الرسولﷺ كتاباً بين الأنصار والمهاجرين في هذا الخصوص، جاء فيه:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنّهم أُمة واحدة من دون الناس... وإنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس» وهذه المؤاخاة تدلّ على عناية الرسولﷺ واهتمامه بإرساء الروابط في صفوف المسلمين، حتى تكون كلمتم واحدة وتكون العلاقة بينهم متينة راسخة، كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

ثالثاً: المعاهدة مع اليهود: الخطوة الثالثة التي قام بها الرسولﷺ هي المعاهدة مع يهود المدينة المنورة حيث كتب كتاباً في هذا الخصوص ، جاء فيه: «إن اليهود أُمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنّه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته» وهذه المعاهدة مع اليهود تشير الى اهتمام الرسولﷺ بالابتعاد عن الخلافات والتشتت في مجتمع واحد، والى عنايته بالتعاون والتضامن فيما بين أفراد المجتمع بغض النظر عن عقيدتهم ودينهم.

الغزوات واهتمام الرسولﷺ بالوحدة

كان الرسولﷺ شديد الاهتمام بتعزيز الوحدة في الأُمة الاسلامية وتوحيد كلمة أفرادها في الحرب والسلم، ويجد كلّ من يمر بسيرة الرسولﷺ العطرة أنه كان حريصاً على ما يرسي وحدة الأُمة، ومبغضاً لما يفتر عرى الوحدة في حياته كلّها؛ في الغزوات والحروب وفي السير والجلسات والاجتماعات؛ أذكر هنا بعض المواقع المهمة التي تجلى فيها حرصه البالغ على الوحدة والاتحاد.

غزوة بدر الكبرى:

في السنة الثانية من الهجرة خرج رسول اللّهﷺ من المدينة المنورة، ومعه عدد من الأنصار والمهاجرين، وأراد عير قريش بقيادة أبي سفيان التي كانت تأتي من الشام، ولما دنا رسول اللّهﷺ من بدر أتاه الخبر عن قريش أنهم خرجوا للدفاع

عن عيرهم، فاستشار الرسول ﷺ الصحابة الذين كانوا معه، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال وأحسن، وسرَّ الرسول ﷺ ما قاله المقداد، ثم قال رسول الله ﷺ أشيروا عليَّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال: أجل، قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق... فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منّا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً، إنّا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منّا ما تقرّ به عينك، فسِر بنا على بركة الله، فسرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ثم قال: سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم.

وتدل هذه الاستشارة على أن النبي ﷺ بصفته قائداً لم يحسم القرار بنفسه، بل أخذ آراء الصحابة، ولم يقتنع بتأييد المهاجرين، بل انتظر تأييد الأنصار حتى تكون كلمة المسلمين من المهاجرين والأنصار كلمة واحدة للدفاع عن الاسلام.

غزوة أُحد:

بعد هزيمة المشركين في بدر أجمعت قريش على حرب المسلمين، فلما سمع رسول الله ﷺ أنه خرجت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب للهجوم على المدينة استشار الصحابة، ورأى الرسول ﷺ أن يقيم المسلمون بالمدينة، وإن داهمت قريش المدينة يقاتلوهم . ولكنه رأى أنّ معظم المسلمين يريدون الخروج من المدينة وقتالهم خارجها، فالتزم الرسول ﷺ رأي الصحابة احتراماً واهتماماً بوحدة الأُمة حتى لا يحدث أي خلاف ونزاع في صفوف المسلمين.

بنو قريظة:

نكث بنو قريظة عهدهم مع الرسول ﷺ في غزوة الخندق، فلما انتهى أمر غزوة الخندق رجع الرسول ﷺ الى المدينة، والمسلمون وضعوا السلاح فأتى جبريل رسول الله ﷺ، وقال: إن الله عزوجل أمرك يامحمد بالمسير الى بني قريظة؛ فأمر الرسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا

ببني قريظة، فأدركتهم في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلّى ولم يرد منّا ذلك، فذكر ذلك للنبيﷺ فلم يعنف أحداً، وهذا الحادث في إصابة الرسولﷺ كلّ من الفريقين، أحدهما صلّى العصر في الطريق، والآخر أخّر العصر ولم يصلها في وقتها، بل صلّاها بعد أن وصل بني قريظة يدل على اهتمام الرسولﷺ البالغ بتعزيز وحدة المسلمين، حتى لا ينشب الخلاف في صفوفهم لأتفه سبب.

أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

أعطى الرسولﷺ من أموال هوازن المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم، لما أعطى رسول اللّهﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الانصار منها شيء فوجد الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة فدخل سعد بن عبادة على الرسولﷺ ، فقال يا رسول اللّه إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، فأجمع الرسولﷺ الأنصار وقال لهم يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم ووجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول اللّه الى رحالكم؟ فوالذي نفس محمّد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللّهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول اللّه قسماً وحظاً.

ولو لم يبال الرسول بهذا الموقف الخطر لأشعل الشيطان نار الحقد والبغض في قلوب الأنصار، وهذا الحقد يمزّق وحدة صفوف المسلمين المتينة ، فاهتم الرسولﷺ بالموضوع باعتباره قائداً حكيماً وأجمع الأنصار وأزال الغضب وجميع أنواع الشكوك والريب من قلوبهم وحفظ وحدة الأُمة.

معاملته مع المنافقين ومحاولته لحفظ الوحدة

كان رسول اللّه ﷺ يعلم المنافقين بالوحي من اللّه تعالى، ولكنه لا يفضحهم ولا يقتلهم خوفاً من اضمحلال الوحدة الراسخة للأُمة الاسلامية حتى تحدث البلبلة إن الرسول ﷺ يقتل أصحابه ويشعل الشيطان نيران الفتنة في صف المسلمين، فكان يصبر على إيذائهم إيّاه وتآمرهم ضده لصالح الوحدة بين الأُمة الاسلامية.

حرص الرسول ﷺ على كلّ ما يعزز وحدة الأُمة الاسلامية

بناء على حرصه البالغ على إيجاد الأُمة الاسلامية الواحدة وإرساء العلاقة المتينة، شرع الاسلام آداباً فاضلة وأخلاقاً سامية، وطبقها رسول اللّه ﷺ في حياته وحث المؤمنين على الالتزام بها، أذكر هنا بعض هذه الآداب الرفيعة ولا أُريد استقصاءها؛ إفشاء السلام والمصافحة وإطعام الطعام وعيادة المريض واتباع الجنائز ونصر الضعيف وعون المظلوم وحسن الظن بالآخرين والتفسح في المجالس والاستئذان وبشاشة الوجه عند اللقاء وما الى ذلك، وهذه الخصال الحميدة والآداب الرفيعة تعزّز أواصر الأُخوة والمودة بين المسلمين، ومن ثم تلعب دوراً مهماً في إيجاد أُمة واحدة كالبنيان المرصوص، وتصبح هذه الأُمة كجسد واحد في الفكر والشعور والفرح والألم، واليه أشار الرسول ﷺ بقوله «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وقال ﷺ: «مثل المؤمنين كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً».

وجاء تأكيد الآداب المذكورة شديداً في كثير من الأحاديث، أود أن أذكر بعضها:

عن عبد اللّه بن سلام رضي الله عنه قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «يا أيها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلّوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»؛ رواه الترمذي.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال «أمرنا رسول اللّه ﷺ بسبع؛ بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ونصر الضعيف وعون المظلوم وإفشاء السلام»؛

متفق عليه.

عن البراء قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا» رواه أبو داود.

عن أبي ذر قال: قال لي رسول اللّه ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»؛ رواه مسلم.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول اللّه ﷺ: «لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا»؛ متفق عليه.

كراهية الرسول ﷺ كلّ ما يفتر وحدة الأُمة

حرّم الشرع كلّ ما يُفتر وحدة الأُمة الاسلامية ويضعف بنيانها، وكان رسول اللّه ﷺ يكرهه كراهية شديدة، ورغب عنه المسلمين وحذّرهم منه. حرّم الاسلام قطيعة الرحم وإيذاء الناس والبخل والشح والكبر والاعجاب وإفشاء سر الآخر والحسد والبغض وسوء الظن بالمسلمين واحتقارهم والغش والخداع والهجران والغيبة، وما الى ذلك من الأوصاف الدنيئة التي تسبب انهيار بنيان الأُمة الاسلامية المرصوص ، فجاءت أحاديث كثيرة في النهي عنها، أذكر هنا بعضاً منها: عن جبير ابن مطعم رضي الله عنه، أن رسول اللّه ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» يعني قاطع رحم؛ متفق عليه.

عن جابر أن رسول اللّه ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم».

عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إيّاكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

عن أنس أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد اللّه إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال».

عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

هذا القليل من الكثير اكتفي بذكره للاشارة الى الموضوع.

فقد ثبت من هذا العرض الموجز أن سيرة الرسول ﷺ العطرة من أوّلها الى آخرها مصدر قوي لايجاد الأُمة الاسلامية الواحدة، انطلاقاً من قول اللّه عزوجل: ﴿واعتصموا بحبل اللّه جميعا ولا تفرقوا...﴾[1]، كان الرسول ﷺ دائماً يحثّ الأُمة على الجماعة ويحذرها من التفرّق والخلافات؛ وأذكر هنا بعض الأحاديث الدالة على الجماعة والوحدة، قال ﷺ:

«أنا آمركم بخمس؛ اللّه أمرني بهن؛ الجماعة والسمع الطاعة والهجرة والجهاد في سبيل اللّه، فإنّه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلا أن يراجع . قيل: وإن صلّى وصام. قال: وإن صلّى وصام ثلاث مرات وزعم أنّه مسلم».

«من أراد أن يفرّق أمر هذه الجماعة فاضربوه بالسيف كائناً من كان» رواه مسلم.

«عليكم بالجماعة فانّما يأكل الذئب من الغنم القاصية، عليكم بالجماعة فالشيطان مع الواحدة وهو من الاثنين أبعد»، فكان ﷺ شعاراً حيّاً للوحدة، وسيرته المباركة الطاهرة لعبت دوراً طليعياً في إنقاذ البشرية الضائعة من الهلاك والدمار، وإيجاد أُمة واحدة على أساس متين قوي وهو الاسلام الذي هو أجلّ النعم وأعظمها على عباده، وإليه أشار قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة اللّه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتهم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن اللّه لكم آياته لعلّكم تهتدون﴾[2].

إن الاسلام يكره التفرّق كراهة شديدة، فنهى المسلمين عن الفرقة والنزاع، قال تعالى ﴿ولاتكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البيّنات وأُولئك لهم عذاب عظيم﴾[3].

١- آل عمران / ١٠٣.

٢- آل عمران / ١٠٣.

٣- آل عمران / ١٠٥.

وقال تعالى ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾[١].

وختاماً لهذا البحث الموجز من خلال فهمي وإيماني بما اهتم إمامنا وقائدنا ورسولنا محمدﷺ بالوحدة بين الأمة الاسلامية أود أن أقدم بعض الاقتراحات للاعتبار بها:

١- تحديد أعداء الاسلام والمسلمين وتوحيد صفوف المسلمين، بغض النظر عن المذاهب والاتجاهات ومدارس أفكارهم؛ فإن الأمة الاسلامية جمعاء تمر الآن بأصعب مراحلها وأحرجها، وأعداء الاسلام مع وجود الخلافات والنزاعات فيما بينهم متحدون ضد الاسلام والمسلمين، فهم يحاولون ليل نهار القضاء على الاسلام وتقويض بناء الوحدة الاسلامية وتمزيق صفوف المسلمين ويصرفون لتحقيق غرضهم الخبيث هذا أموالاً طائلة، ويستخدمون وسائلهم الاعلامية بمختلف أنواعها وأشكالها، وكان يجب علينا أن نعرف أعداءنا ونكون على حذر منهم ونعدّ لهم ما استطعنا من قوّة ونواجه مكائدهم ومؤامراتهم، ولكن مع الأسف الشديد نحن المسلمين نتنازع فيما بيننا، ونختلف في الأمور التافهة التي لا وزن لها؛ فنضيع قوتنا في مواجهة من يخالفنا من إخوتنا المسلمين، وأمّا عن أعدائنا الالداء فنحن غافلون.

فمن أهم الواجبات علينا في العصر الذي نعيش فيه أن ننسى الخلافات والنزاعات فيما بيننا، ونجمع قواتنا ونوحّد كلماتنا ضد أعدائنا الذين هدفهم الأمة الاسلامية بأسرها، ليس مذهباً ما، بل كلّ من ينتمي الى الاسلام بغض النظر عن مذهبه واتجاهه وبلاده.

ولو لم نتخذ موقفاً موحداً ضدّهم فسيكون مصيرنا بئس المصير ونعوذ بالله من ذلك. لابد أن نفهم أن الناس في العصر الحاضر منقسمون الى صنفين هما: المؤمنون الذين يؤمنون بالله ربّاً وبالاسلام ديناً وبمحمّد رسولاً وبالقرآن كتاباً، والكفّار الذين يكفّرون كلّ هذا وهم أعداء الاسلام والمسلمين وأولياء الشيطان

١- الأنفال / ٤٦.

فيجب علينا باعتبارنا مسلمين أن نواجههم في صف واحد بنزع الخلاف والتفرّق، قال تعالى ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل اللّه والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾[1].

٢- تطورت في هذا العصر وسائل الاعلام المتنوعة من المقروءة والمسموعة والمرئية، ويستخدم أعداء الاسلام والمسلمين هذه الوسائل في محاربة الاسلام، ولهم سيطرة قوية على وسائل الاعلام الدولية فيبثون عن الاسلام والمسلمين مايريدون وفي معظم الأحيان يهملون الأحداث التي تختص بمصالح المسلمين، فالمسلمون في الشرق لا يعلمون ماذا يحدث بالمسلمين في الغرب وبالعكس. فهم يشوهون الشريعة الاسلامية السمحة والشخصيات الاسلامية. ومن جانب آخر يبثون الأفلام الخليعة والبرامج اللاأخلاقية ويهدفون الى هدم أخلاق الشباب الاسلامي ونشر الفحشاء في المجتمعات الاسلامية.

ونظراً الى خطر الاعلام وما يسيطر عليه أعداؤنا فلابد أن تمتلك الأُمة الاسلامية وسائل الاعلام القوية وتواجه مكائد الأعداء ومؤامراتهم الخبيثة، وتبث الأحداث التي تعنى بالاسلام والمسلمين، حتى يعلم المسلم المقيم بأقصى الشرق ما يحدث بإخوانه في الغرب، وتبث برامج ترفع مستوى أخلاق الشباب الاسلامي.

٣- لمواجهة الأعداء ولحفظ الأجيال الاسلامية تحتاج الأُمة الى قادة أكفاء، فلابد من اتخاذ خطوة واقعية لبرنامج تدريب نخبة من الشباب من كلّ بلد اسلامي بغية جعلهم قادة مؤهلين.

٤- لابد من بناء مركز إسلامي رفيع المستوى للدراسات والبحوث، ومكتبة دولية في كلّ بلد إسلامي، حيث يقوم الشباب المتفوقون بالبحث في مختلف الموضوعات الاسلامية المهمة ومن ثم تزداد مقدرتهم وموهبتهم، ويستطيعون أداء دورهم بكل كفاءة.

٥- لابد أن يكون هناك مصرف إسلامي موحد للدول الاسلامية، ومع وجود

١- النساء / ٧٦.

البنك الاسلامي للتنمية لكنه غير فعال وهو دون مستوى الطموح، فلابد من وجود مصرف إسلامي موحّد للعالم الاسلامي الذي يؤدي دوره ويقوم بأداء مسؤولياته بكامل الحرية دون أي قيود وضغوط من الخارج.

٦- يمكن أن يكون هناك منبر عالمي للدول الاسلامية يسعى لتوحيد صفوف المسلمين وتقريب المذاهب الاسلامية، ويتم تعيين دعاة يدعون المسلمين الى الوحدة وينهونهم عن التفرّق والتمزّق ويحذرونهم من الخلافات والنزاعات وينبهونهم على الأعداء بمختلف أنواعهم وأشكالهم.

حفظنا اللّٰه من التفرّق والتشتت، ورزقنا الوحدة والاعتصام بحبله، ووفقنا للعمل لتوحيد صفوف المسلمين، ومواجهة أعدائهم ومحاربة أولياء الشيطان في صف واحد كالبنيان المرصوص.